

تاريخ ممالك اليمن القديمة

أستاذ- قسم التاريخ- كلية الآداب
جامعة بخت الرضا

أ.د. أسامة عبد الله محمد الأمين

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة تاريخ ممالك اليمن القديمة وهي ممالك ذات أنظمة اقتصادية متصلة بالتجارة العالمية وقد أثرت فيها تأثيراً بعيداً. وتبدأ الورقة بنبذة قصيرة عن بلاد اليمن من حيث الموقع الجغرافي، وأسباب التسمية. ثم تناولت الورقة أيضاً ممالك بلاد اليمن القديمة في الفترة (1300 ق.م — 525 م) والتي شملت مملكة معين، حضرموت، قتبان، سبأ، أوسان، وحمير. وتنبع أهمية هذه الورقة في أنها توضح دور ممالك اليمن القديمة في صياغة الأحداث التاريخية التي رسمت الصورة الحضارية لليمن قبل الإسلام. وبالتالي تهدف الورقة إلى تسليط الضوء عن تلك الممالك اليمنية القديمة. وتتبع الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي للوصول لغاية هذه الدراسة وتحقيق النتائج المرجوة. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها أن معرفة تاريخ ممالك اليمن القديمة يعيننا على فهم حاضر الإنسان اليمني وكيف وصل إلى ما هو عليه. توصلت الدراسة إلى عدد من التوصيات أهمها تشجيع البحوث والدراسات في مجال التقنيات الأثرية لكافة الحضارات القديمة لليمن والوقوف على إيجابياتها وسلبياتها.

Abstract:

This study deals with the history of the ancient kingdoms of Yemen, which are kingdoms with economic systems related to international trade, and have affected them far and wide. The paper begins with a short overview of the country of Yemen in terms of geographical location, and the reasons for the name. Then the paper also dealt with the kingdoms of the ancient country of Yemen in the period (1300 BC - 525 AD), which included the kingdom of Muḩin, Hadramout, Qataban, Sheba, Awsan, and Himyar. The importance of this paper stems from the fact that it clarifies the role of the ancient kingdoms of Yemen in formulating

the historical events that drew the civilized image of Yemen before Islam. Therefore, the paper aims to shed light on those ancient Yemeni kingdoms. The study follows the historical, descriptive, and analytical method to reach the purpose of this study and achieve the desired results. The study reached a number of results, the most important of which is that knowing the history of the ancient kingdoms of Yemen helps us understand the present of the Yemeni human being and how he reached what he is. The study reached a number of recommendations, the most important of which is to encourage research and studies in the field of archaeological techniques for all ancient civilizations of Yemen and to identify their pros and cons.

المقدمة:

أطلق اليونان القدماء على الإقليم الذي قامت فيه الممالك العربية الجنوبية اسم بلاد اليمن السعيد، نظراً لخصوبة أرضها ووفرة محصولها وثروتها التجارية الواسعة. ويلاحظ أن تلك الممالك قامت في أعلى هضبة اليمن، أي في المناطق الداخلية والسفوح المنحدرة نحو الشرق. واستخرج العلماء أخبار مدن الجنوب وممالكها من النقوش التاريخية، ولم يلبثوا أن عرفوا من هذه النقوش أن حضارة اليمن بدأت قبل الميلاد بخمسة عشر قرناً⁽¹⁾. وعبد اليمنيون الكواكب وقوام هذه العبادة الثالوث الذي يمثل القمر فهو (ود) وهو المعبود الرئيس، وقد مثلت الشمس دور الزوجة والأم فهي زوجة المعبود القمر وأم المعبود عثر (الزهرة). ويمثل عثر القاسم المشترك الذي عبده الشعوب السامية في جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية تحت اسم واحد. وكان إلى جانب هذا الثالوث آلهة أخرى محلية وأيضاً معبودات للمطر وللحاصيل وغيرها. وقد ظلت الوثنية دين اليمن حتى تسربت اليهودية والمسيحية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين. ولم يلبث الإسلام أن انتشر في اليمن وأصبحت البلاد جزءاً من الدولة العربية الإسلامية الموحدة⁽²⁾.

ونضمت في بلاد اليمن مجموعة من الممالك القديمة منها معين، حضرموت، قتبان، سبأ، أوسان، وحمير. وكانت تلك الممالك غالباً متعاصرة متعاونة أو متنافسة متناحرة كل واحدة منها تستقل بنفسها تارة وتدين بالولاء لبعض جاراتها تارة أخرى⁽³⁾.

أهمية الدراسة:

أتت أهمية الدراسة في أنها توضح دور ممالك اليمن القديمة في صياغة الأحداث التاريخية التي رسمت الصورة الحضارية لبلاد اليمن قبل الإسلام.

أهداف الدراسة:

1. تهدف هذه الدراسة إلى إبراز ملامح من الدور الحضاري الذي قامت به ممالك بلاد اليمن في تاريخ العالم القديم.
2. تحاول هذه الدراسة أن تلقي بعض الضوء على جوانب من أنظمة ممالك اليمن القديمة ذات الألوان والأذواق المتباينة التي منها خرجت حضارة يمنية كان لها أبعد الأثر في تاريخ العالم القديم.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي للوصول لغاية هذه الدراسة والنتائج المرجوة.

تقسيم الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من المقدمة وتحتوي على نبذة قصيرة عن بلاد اليمن من حيث الموقع الجغرافي وأسباب التسمية، وأهمية الدراسة وأهدافها، ومنهجية الدراسة، ثم تعرضت الدراسة إلى ممالك اليمن القديمة من حيث تسميتها، وموقعها الجغرافي، ونشأتها ونهايتها، ونظام الحكم وعلاقاتها بالدول المجاورة لها. كما تطرقت الدراسة إلى الأنشطة الاقتصادية والحضارية لتلك الممالك اليمنية القديمة.

تمهيد:

تقع اليمن في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية، وتمتد اليمن على طول المحيط الهندي، ويحدها البحر الأحمر من الغرب، والحجاز من الشمال، وتخترق جبال الحجاز (السراة) اليمن من الشمال إلى الجنوب حتى البحر الأحمر، وتتخللها الأودية التي تنساب فيها مياه الأمطار⁽⁴⁾. أما عن سبب تسميتها باليمن، فذلك أمر خلاف فهناك من يذهب إلى أن ذلك إنما كان نسبة إلى من قطنها من العرب، الذي قال له والده قحطان أنت أيمن ولدي، أو لأنها تقع على يمين الكعبة. بينما يتجه فريق ثالث إلى أن السبب إنما كان في طبيعة البلاد نفسها فهي بلاد اليمن والخير والبركة، على أن رأياً رابعاً يذهب إلى أنها سميت بذلك لأن الناس قد كثروا بمكة فلم تحملهم فاتجه بنو يمن إلى اليمن وهي أيمن الأرض فسميت بذلك، وهناك من يرجح أنها سميت اليمن من كلمة (يمنات) الواردة في نص يرجع إلى أيام الملك (شهر يهرعش) غير أن كل تلك الآراء لم تقل لنا شيئاً عن الاسم الذي كان

قامت في اليمن ممالك ذات أنظمة اقتصادية متصلة بالتجارة العالمية وأثرت فيها تأثيراً بعيداً. فبلاد اليمن كانت تصدر البخور والعطور العربية، كما كانت مركزاً مهماً للاتصال التجاري بين المحيط الهندي والبلاد الواقعة شرقي البحر الأبيض المتوسط. ووضح ذلك في حضارتها، فأصبحت صلة الوصل بين الحضارات القديمة في مصر وبلاد الرافدين والشام والحبشة واليونان (6).

ممالك اليمن القديم:



خارطة ممالك اليمن القديمة

أولاً: مملكة معين (1300 — 650 ق.ق.):

نشأت أقدم الممالك العربية في اليمن بفعل موقعها الجغرافي ووفرة مواردها الاقتصادية والظروف السياسية التي أحاطت بها، وتعتبر المملكة العينية أقدمها، وقد وردتنا أخبارها عبر الكتابات المدونة بالمسند والكتب الكلاسيكية اليونانية والرومانية، ولم يرد ذكر لها في المصادر العربية، ثم إن ما ذكرته المصادر إليها عن بلدتي معين وبراقش لا يتجاوز كونها موضعين في الجوف بين نجران وحضرموت أو محفدين من بين محافد اليمن وقصورها القديمة⁽⁷⁾.

وعلى الرغم من كثرة النقوش التي وجدت عن هذه المملكة المعينية، فإن معظمها لا يحوى أكثر من أسماء ملوك وأشخاص وتسجيل بعض الأحداث

الشخصية أو الخاصة، ما ترتب عليه اختلاف الباحثين في تحديد تاريخ بداية هذه المملكة وتاريخ انتهائها، والتواريخ المذكورة تتراوح بين القرن الخامس عشر قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي⁽⁸⁾.

ورد اسم معين في المصادر اليونانية والرومانية وعاصمتها مدينة قرنا وهي معين، وقد قامت المملكة المعينية في الجوف شرقي صنعاء بين نجران وحضرموت، وهي أرض خصبة ذات مياه كثيرة، اشتغل أهلها بالزراعة والتجارة. كان نظام الحكم في هذه الدولة ملكياً وراثياً من الأب إلى الابن، وقد يشترك الاثنان معاً في الحكم، كما قد يشترك أكثر من ملك في اسم واحد، لكن يتميز بعضهم عن بعض بالألقاب مثل: المنقذ أو المخلص والصديق أو الصادق والعاقل والفخور والسامي. ولقب الملوك في بداية عهد المملكة بلقب مزادو ولعل هذا اللقب يتضمن معنى الكهانة فضلاً عن الحكومة فيكون المراد بقولهم مزادو معين، حاكم معين وكاهنها⁽⁹⁾. وعرفت مدن المملكة المعينية ما يعرف بنظام الحكم المحلي حيث كان حكام هذه المدن يُعينون بالانتخاب وكانت لهم مجالس تدير شؤونهم في السلم والحرب تسمى مزودو وكأنها حكومات محلية. وتنوعت الضرائب في الدولة المعينية عبر ثلاثة أنواع هي: ضرائب تعود جبايتها إلى خزانة الملك، وضرائب تؤول جبايتها إلى المعابد، ثم ضرائب تذهب إلى خزائن المشايخ والحكام. ومن الضرائب كتابات العقود ووفاء الضرائب والديون وضريبة دعيت يفرع أي فرع، وأخرى عرفت بعشرم أي عشر تؤخذ من الحاصل⁽¹⁰⁾. وكان لكل مدينة معبدها الخاص الذي يحوي إلهاً أو أكثر، وقد تعددت المعابد في المدينة الواحدة، ويعرف معبد العاصمة برصاف، ويشرف رجال الدين على إدارة المعابد ويقومون بالشعائر الدينية ويعرف الكاهن بـ (شوع)⁽¹¹⁾.

هذا وقد اشتهر المعينيون بأنهم قاموا بدور فعال في إنماء التجارة مما أثر في توسيع رقعة البلاد وامتدادها حسبما تقتضي تجارتها. وكانت للمملكة المعينية مستعمرات متعددة خارج اليمن فقد امتد نفوذها إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط في جنوبه وإلى خليج العجم وبحر العرب. ونسبة لهذه المسافات البعيدة التي كان يقطعها التجار المعينيون فإنهم قد وجدوا أن من الخير أن يستعمروا بعض المرافئ في مختلف البحار ولم يكن هذا الاستعمار نتيجة حروب، ولكنه يبدو أنه كان نتيجة اتفاقيات تجارية بين المعينيين على أسفارهم أنهم كانوا يسكنون مكاناً وسطاً بين الشرق والغرب، فقد كانت الهند في شرقي بلادهم والبحر الأحمر يوصلهم إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط عندما كانت قناة السويس القديمة مازالت مستعملة. واشتهرت في معين موانئ ومدن مختلفة منها عدن وظفار ومسقط وقانا، فكانت السفن تزاحم بعضها بعضاً في مياه هذه المرافئ⁽¹²⁾. وقد اشتركت مع المملكة المعينية

في هذه التجارة الدولية بعض جاراتها من الممالك الجنوبية التي تتكامل معها، وأنسب الأقاليم التجارية لمثل هذا التكامل إقليم حضرموت نظراً لسيطرته على مناطق اللبان أو تحكمه فيها بحكم موقعه وإشرافه على المحيط الهندي من ناحية الجنوب. وكانت حضرموت على اتصال بحري مباشر بكل من الهند وشرق إفريقيا بينما تحكمت معين في زمام طريق التجارة إلى الشمال وكان هناك اتصال تجاري مباشر بين الإقليمين، وفي النقوش المعينية هناك إشارات تدل على وجود علاقة خاصة كانت تقوم في وقت من الأوقات بين معين وحضرموت بل لعل هذه العلاقة ارتبطت بنشاط التجارة العالمية لمعين منذ عام 400 ق.م تقريباً إذ وجدت أسرة حكمت المنطقتين معاً منها (صدق ايل) ملك حضرموت والذي حكم معين أيضاً. وارتباط معين وحضرموت ارتباطاً تجارياً وسياسياً كان بهدف السيطرة على تجارة البخور وخاصة فيما بين القرنين الرابع والثاني قبل الميلاد⁽¹³⁾.

أما علاقة معين بسبأ التي كان نفوذها وسلطانها في تزايد مستمر خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد فهناك نقش معروف من مدينة يثل (براقش) ذكر فيه اسم سبأ وملوكها، كما ذكر في هذا النقش أيضاً أن أسرة سبئية قد اتخذت مركزاً تجارياً لها في مدينة يثل المعينية مما يشير إلى تشابك النشاط التجاري بين معين وسبأ في المرحلة الأخيرة من تاريخ معين المستقلة أي خلال القرن الأول قبل الميلاد، ثم ازداد شأن سبأ في الوقت الذي ضعفت فيه معين وازداد انقسامها إلى عدد من حكومات المدن المستقلة حتى استطاعت سبأ في النهاية أن تبتلعها واحدة بعد الأخرى⁽¹⁴⁾.

وحكم ملوك معين دولتهم حكماً دستورياً، فقام مجلس عام إلى جانب الملوك، وقامت في المدن حكومات محلية، وكان حكام هذه المدن يعينون بالانتخاب، ويعاون الحاكم منهم مجلس مؤلف من شيوخ المدينة. وكان نظام الحكم في المملكة المعينية وراثياً، وعاصمتها قرناو وهي معين الحالية⁽¹⁵⁾.



ولم نعرف كما أشرنا سابقاً نهاية المملكة المعينية، إلا أننا نجد في النقوش التي تعود إلى عهود متأخرة منذ ظهور لقب (ملك سبأ وذي ريدان) على الأقل ما يدل على خضوع مدن مثل نشق ونشن ويثل لأولئك الملوك. ولأنكاد نجد ذكراً لمعين أو قرناو. كما أننا لانجد لها ذكراً فيما وصل إلينا من أخبار حملة اليوس جالوس (24ق.م) التي تعرضت خلالها مدن الجوف لهجمات الرومان بما فيها يثل التي ارتبطت طويلاً بمعين. ولعل مملكة معين قد زالت قرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد، ولكن الكتب الكلاسيكية ظلت تذكرهم فترة من الزمان فذكرهم بليني وهو يتحدث عن الحملة الرومانية إلى جانب الحميريين كأكثر الجماعات عدداً وأخصبهم أيضاً وأغزرهم نخلاً وأكثرهم امتلاكاً للمواشي، وكان آخر من تحدث عنهم بطليموس الذي وصفهم بأنهم شعب عظيم⁽¹⁶⁾. ولقد بهرت عظمة المعينيين المتمثلة في آثارهم كل زوار الجوف حيث بنيت معابد عثير في الجوف مع القطع الضخمة من الجرانيت لها مظهر يشبه معابد معينة في مصر مثل معبد الوادي للهرم الثاني بالجيزة والأوسيريون في أبيدوس تضع الحضارة المعينية في مركز عال مقارنة بالحضارت العظيمة الأخرى التي في الشرق كمصر وبلاد الرافدين⁽¹⁷⁾.

ثانياً : مملكة حضرموت (1020 ق.م — 290 م) :



تقع حضرموت إلى الشرق من اليمن على ساحل بحر العرب، وفيما يتصل باسمها فقد تردد اسمها في كتابات الكتاب اليونان والرومان فورد باسم (حميراتي)، أما عند الإخباريين فقد اعتبروا حضرموت ابناً من أبناء قحطان

واعتمدوا في ذلك على رواية التوراة. وقد وصفت سواحل حضرموت الجنوبية بأنها مناطق موبوءة يتجنبها الناس ومن ثم فلا يجمع التوابل واللبان منها إلا العبيد أو المجرمين الذين صدرت ضدهم أحكاماً صارمة. ومن الواضح أن هذا التفسير يعتمد على المعنى الظاهر من المقطع الثاني للكلمة وهو (موت) وربما كان لذلك صلة بالمعنى العبري للكلمة (دار الموت)، من ثم فقد قيل حضرموت في التوراة (حاضر الموت). ويقدم (ياقوت الحموي) تفسيراً آخر لهذا الاسم يعتمد على رواية التوراة يذكر فيه أن حضرموت اسماً لرجل هو عامر بن قحطان وأنه كان إذا حضر حرباً أكثر فيها من القتل ومن ثم فقد سمي بحضرموت. وهناك تفسيراً آخر أنها سميت على اسم حضرموت بن قحطان الذي نزل هذا المكان فسميت به فهو اسم موضع واسم قبيلة⁽¹⁸⁾. وهناك تفسيراً آخر لهذه التسمية فهو أن اسم حضرموت أخذت اسمها من إله الموت والعالم السفلي في الأساطير الجزرية القديمة⁽¹⁹⁾. وفيما يتصل بالتحديد الزمني لفترة مملكة حضرموت فليس هناك اتفاق على بدايتها أو نهايتها فهناك من يرجع بدايتها إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، بينما يرجعه البعض الآخر إلى القرن الخامس قبل الميلاد⁽²⁰⁾. وتعتبر حضرموت بلاد البخور لأنها كانت مملكة مترامية الأطراف تتوسط بلاد العرب وتمتد إلى ظفار أهم المناطق المنتجة للبخور⁽²¹⁾. ومن النقوش المهمة التي توضح صلات حضرموت الخارجية بجيرانها نقش يرجع إلى عهد الملك (العزيط) ملك حضرموت وقد دون هذه النقوش رجلان من أشراف حمير بعث بهما ملك سبأ وذئ ريدان للمشاركة في الاحتفال بتتويج ملك حضرموت في حصن أنود كما وردت كتابات أخرى سجلها الملك الحضرمي نفسه ذكر فيها (العزيط) ملك حضرموت ابن عم ذخر سار إلى حصن أنود ليتلقب بلقبه. ولعل وجود المبعوثين الحميريين دليل على أن العلاقات بين حضرموت وسبأ كانت ودية، ومن ثم فقد أرسل ملك سبأ وذئ ريدان مبعوثين لتهنئة حليفه وصديقه ملك حضرموت بمناسبة تتويجه. إلا أنها من ناحية أخرى قد يستدل من وجود هذين المبعوثين أن ملك حضرموت إنما كان يتولى سلطانه برضى من ملك سبأ وذئ ريدان. وفيما يتصل بالتتويج عن حصن أنود فربما كان هناك دافعاً دينياً وراء ذلك ولقد استمر هذا التقليد إلى حوالي سنة 200 م⁽²²⁾. ومن النقوش التي تلقي ضوءاً على سياسة حضرموت الخارجية كذلك نقشاً يسجل استقبال (العزيط) لوفود من الهند وتدمير ومن الآراميين، وسجل نقش آخر مرافقة عشر نساء قريبات الملك إلى حصن أنود. وتشير هذه النقوش إلى وجود علاقات ودية بين حضرموت وهذه المناطق⁽²³⁾. وإذا تحدثنا عن أهم مدن حضرموت نذكر مدينة (شبو)

العاصمة التي كانت من أهم مدن حضرموت ومن أهم آثارها التي كشف عنها بقايا المعابد والقصور فضلاً عن بقايا السدود التي كانت مشيدة على وادي شبوة لحصر مياه الأمطار والاستفادة منها في ري المناطق الخصبة. ومن مدن حضرموت كذلك مدينة (ميفعة) العاصمة القديمة لحضرموت وتشير النصوص إلى تحصينها وتسويرها وإقامة الأبراج حولها لصد الغزاة عنها، ومنها كذلك مدينة (قنا) وهي ميناء حضرموت الرئيس وهو يقع إلى الشرق من عدن، ومن هذه المدن مدينة (مذب) أو (مذاب) والتي اشتهرت بمعبدها الذي خصص لعبادة إله القمر (سين)⁽²⁴⁾. وأما متى انتهت مملكة حضرموت وأصبحت جزءاً من مملكة سبأ وذي ريدان فهناك من الباحثين من يرى أن ذلك كان في سنة 290م، ويرى آخرون أنه كان بعد سنة 300م في عهد الملك شمريهرعش، بينما يذهب فريق ثالث إلى أنه كان في القرن الرابع الميلادي⁽²⁵⁾.

ثالثاً : مملكة قتبان (1000—25 ق.م) :



يقع إقليم مملكة قتبان في جنوب اليمن بين حضرموت شرقاً وأوسان غرباً ويحدها بحر العرب جنوباً وتتصل شمالاً بالمرتفعات اليمنية، وتقع في تلك المرتفعات عاصمتها (تمنع)⁽²⁶⁾. وفيما يتعلق ببداية أو نهاية مملكة قتبان فقد أرجع الآثاري (هومل) تاريخها إلى ما قبل سنة (1000 ق.م)، وذهب (ملاكر) إلى أن ابتداء حكم قتبان كان في حوالي سنة 645 ق.م، وأن نهاية استقلالها

كان في القرن الثالث قبل الميلاد. ويرى (جلاس) أن نهاية هذه المملكة كانت بين (200) و(24 ق.م)، وذهب (ريكنس) أن نهاية دولة قتبان كانت في حوالي السنة (210) أو (207) للميلاد. هذا وقد كان حكام قتبان الأوائل يلقبون أنفسهم باللقب الذي تلقب به حكام سبأ وهو لقب (مكرب) وترجم هذه الكلمة بكلمة (مقرب) أي التقرب إلى الآلهة — فهو إذن كناية عن الكاهن الحاكم الذي يحكم باسم الآلهة التي يتحدث باسمها — ثم تلى ذلك أن تلقب حكام قتبان بلقب (ملك) عندما ازدادت سلطاتهم⁽²⁷⁾. ويحاول بعض الباحثين أن يقسموا تاريخ قتبان إلى ثلاث فترات تختلف الواحدة منها عن الأخرى حيث حكمت هذه الفترات ثلاث أسر هي الأسرة الأولى بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد ومن أشهر ملوكها: يدع أب ذبيان الذي وسع الدولة ومد حدودها حتى بلغت حدود سبأ، واستولى على إقليم مراد، وهذا يفسر اهتمامه بشق الطرق ليربط أطراف دولته، ولعل أشهر طريق شيده هو المعروف باسم (مبلقة) ويصل تمنع بأطراف الدولة، كما وضع أصول التشريعات القانونية وكان مجلس الدولة المعروف باسم المزود والذي يتألف من رؤساء المدن والقبائل يقوم بوضع القوانين ثم يعرضها على الملك لإقرارها وإعطاء الأمر بتنفيذها. ومن بين أهم النصوص التي عثر عليها مكتوبة في مدينة تمنع تلك التي ذكرت اسم الملك شهر هلال ابن ذرأكرب، وهو من ملوك قتبان المتأخرين وذلك بمناسبة إصداره قانوناً لشعبه نظم من خلاله علاقة الملك بالشعب ووضع قواعد استغلال الأراضي وتعيين العمال عليها فضلاً عن الإشارة إلى العقوبات التي تقع على المخالفين وانتهى بوفاته حكم الأسرة الأولى⁽²⁸⁾. وحكمت الأسرة الثانية الفترة ما بين (350 — 250 ق.م)، وأول ملوكها هو ابشيم وابنه شهر غيلان الذي ترك كثيراً من النقوش وجد بعضها في المدخل الثاني لمدينة تمنع. ولعل أشهر ملك أنجبته هذه الأسرة هو شهر يجيل الذي اعتلى العرش في سنة (300 ق.م) وهو الذي بنى معبداً للإله عم في وادي لبخ وفي مدينة ذوغيل وقوض عرش معين، وخلفه بعد وفاته أخوه شهر هلال بوهنعم، وهو الذي أقام المسلة التي عثر عليها في مدينة تمنع وانتهى بوفاته حكم الأسرة الثانية (29) وتناوب على عرش مملكة قتبان بعد ذلك عدد من الملوك كان آخرهم يدع أب غيلان الذي اشتهر ببناء قصر بيت يغش وزخرفته بأسد من البرونز وهو أقرب للفن اليوناني الذي كان سائداً في مصر وبخاصة في الإسكندرية، في عصر لم يتجاوز منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، وقد جاء في أسفل هذا الأسد نص يبين أسماء صانعيه وينسب نص آخر هذا العمل إلى الملك شهر يجيل يوهر جب⁽³⁰⁾.

استولت على عرش مملكة قتبان بعد ذلك أسرة ملكية ثالثة حكمت خمسة وسبعين سنة تقريباً (100—25 ق.م) وأول ملوكها هو هوف عم بوهنعم ثم ابنه شهريجيل بوهرجب، وهو الذي أعاد بناء برج المدخل الجنوبي لبيت يغش ثم ابنه وروال غيلان بوهنعم ويرجح أنه أول من سك نقوداً ذهبية قتبانية وخلفه أخوه فرع كرب يوهو دع وهو آخر ملوك هذه الأسرة⁽³¹⁾.

لعبت التجارة دوراً كبيراً في الازدهار الذي حققه القتبانيون في وقت من الأوقات. ويرجع ذلك أساساً إلى موقع بلادهم التي كانت تتوسط المناطق الأخرى حصرموت إلى الشرق، ومعين إلى الشمال، وسبأ إلى الغرب، ثم سيطرتهم على الأجزاء الجنوبية المطلة على البحار. ومن أجل التجارة شق القتبانيون الطرق ووضعوا القوانين التي من بينها قانون سنه الملك شهرهلال وأمر بكتابته على نصب حجري أقيم في وسط مدينة تمنع حيث كانت تقوم سوقها على ما يعتقد. ومنعت تلك القوانين عمليات البيع والشراء ليلاً، وذلك لضمان جباية الضرائب والرسوم المفروضة على التجارة، وفضلت التجار من أبناء قتبان الأصليين على غيرهم، بل فرضت رسوم إضافية على غير القتبانيين⁽³²⁾.

استغل القتبانيون موقع بلادهم الجغرافي بجوار باب المنب ومجاورتهم لحصرموت التي كانت تنتج أفضل أنواع الطيب والبخور فاشتغلوا بالتجارة وكسبوا منها أرباحاً طائلة وأوضحت لهم قوة عظيمة كان لها شأن في القضاء على نفوذ المعينيين، كما عمل القتبانيون بالزراعة لكن حدث قبل الميلاد بقليل أن تعرضت تمنع عاصمة قتبان لغزو شعب غير معروف فأحرقها⁽³³⁾ وإلى جانب عناية مملكة قتبان بالتجارة عني القتبانيون بالزراعة فأقاموا مشاريع للري في وادي بيحان الذي اكتشفت فيه البعثة الأمريكية قناة رئيسة تمتد مسافة طويلة ولها مصارف تتحكم في مياه السيول وتقوم بتوزيعها على الجداول الفرعية التي كانت تشكل شبكة منتشرة في الأرض الزراعية على الجانبين. ويقدر زمن إنشاء تلك القناة بالقرن الخامس قبل الميلاد ويعتقد أنها ظلت تستخدم حتى القرن الأول الميلادي على الأقل⁽³⁴⁾. وفي مجال العمارة اهتم القتبانيون ببيوت الآلهة ومعابدها وهذا تعبير واضح عن عقيدتهم الراسخة وولائهم الدائم لها، ولا يخلو نقش إلا وقد ذكرت فيه العديد من الآلهة إيمانهم منهم بوقوف الآلهة معهم في أحوال السلم والحرب، وعليه كان من الطبيعي أن يقوم أهل قتبان بأداء واجباتهم نحو تلك الآلهة من صلاة ودعاء وشكر ورعاية لبيوتها. وقد جاءت النقوش القتبانية مصدقة لكل ذلك. وهناك نقوش في عهد المكربين ورد فيها أسماء آلهة قتبانية هي (ابني) و(حوكم)

و(عم) ورد فيها أيضاً بناء معابد للآلهة على سبيل الشكر والدعاء لها لترعى السلام والأمان للتجارة المسافرة على الطريق⁽³⁵⁾. ويتفق جميع الباحثين في دراسة تاريخ الحكومات العربية الجنوبية على أن السبئيين هم الذين قضوا على استقلال حكومة قتبان، وقد اختلفوا فقط في تحديد الوقت الذي تم فيه فبينما يرى البعض أن ذلك كان حوالي سنة (540ق.م)، يرى البعض الآخر أن سقوط مدينة تمنع كان في حوالي سنة (50ق.م)⁽³⁶⁾.

أما عن أهم مدن دولة قتبان فهي العاصمة (تمنع) وتعرف حديثاً باسم (كحلان) وأيضاً (هجر كحلان) في وادي بيحان في منطقة عرفت قديماً بخصوبتها وبكثرة مياهها وبساتينها وقد تعرضت لأحداث عنيفة انتهت بخرابها بالحريق مما أدى إلى انتقال الحكم منها إلى موقع آخر يسمى (حرب) أو (حريب) بواسطة أسرة جديدة⁽³⁷⁾.

رابعاً: مملكة سبأ (950 — 115ق.م) :



هي إحدى الممالك اليمنية التي قامت في جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد اختلف المؤرخون في أصل السبئيين فتذكر الروايات العربية أن سبأ من قحطان ويسمونهم العرب المتعربة تمييزاً لهم عن العرب الذين كانوا من قبلهم وتشير الروايات إلى أن والده هو يشجب بن يعرب بن قحطان، وتذكر أن من أولاده قبائل كثيرة انتشرت في كل مكان من شبه جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده، ونسب إليه نسله من السبئيين، وقد ذكروا أن اسمه الحقيقي

هو عبد شمس، وأما سبأ فهو لقب تلقب به وذهبوا في سبب هذه الكنية مذاهب متعددة فقالوا إنه لقب به لأنه أول من سبأ أي سن السبي من ملوك العرب، واتجه البعض الآخر إلى إحاكة الأساطير حوله فقالوا إنه بنى مدينة سبأ وسد مأرب وغزا الأقطار وبنى مدينة عين شمس في مصر. ولكن لم يعثر في النصوص العربية الجنوبية التي كشف عنها عن شيء يتصل بشخص يدعى سبأ أو اسمه وأعماله وكل ما ورد في هذه النقوش يشير إلى أن سبأ هو اسم شعب كون له دولة وكان له حكامه ونظامه السياسي والإداري والاقتصادي وعلاقاته الخارجية⁽³⁸⁾.

وورد ذكر سبأ في القرآن الكريم في قوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ⁽³⁹⁾). كذلك نجد أن القرآن الكريم يشير في السورة نفسها إلى القرى المباركة والأمان الذي كان يسود هذه الدولة، يقول الله تعالى : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَيَوْمًا آمِنِينَ⁽⁴⁰⁾). وقد أشار القرآن الكريم أيضاً إلى ملكة سبأ وقصتها مع نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وذكر عظمتها وعظمة عرشها فقد جاء في سورة النمل على لسان الهدد قوله تعالى : (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ⁽⁴¹⁾). وبين القرآن الكريم طبيعة الحكم الذي كانت تمارسه ملكة سبأ والذي كان يقوم على مبدأ المشورة وعدم الانفراد في اتخاذ القرارات فقد جاء على لسان ملكة سبأ قوله تعالى : (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ⁽⁴²⁾) وقد ذكرت سبأ في التوراة وحددت نسبها وذكرت ملكتها وزيارتها للنبي سليمان عليه السلام في فلسطين، وهناك لفظتان وردتا في التوراة هما سبأ وشبا اللتان تردان أحياناً معاً ويرجح أن تكون اللفظتان لمنطقتين مختلفتين. أما سبأ فإنها معروفة، وأما شبا فيرجح أنها لا تبعد كثيراً عن سبأ. لذا فإن التوراة توردهما معاً وأيضاً فإن تجارتها هي نفسها اللبان والطيب والأحجار الكريمة والذهب⁽⁴³⁾. وورد اسم سبأ في الكتابات الكلاسيكية منهم أورد بليني بأن أهل سبأ من قبائل البلاد العربية ووصفهم سترابو بأنهم شعب كبير التعداد وأن بلادهم شديدة الخصوبة تنبت المر واللبان وأنواعاً أخرى من الأعشاب ذكية الرائحة. كما زعم أن السبئيين شعب كسول وعزى ذلك إلى خصوبة أرضهم، وقال إن ماريابا (مأرب) عاصمتهم تقوم على جبل كثيف الأشجار وأنه يحرم على ملكهم مغادرة مسكنه. أما أبناء الشعب فإن حياتهم موزعة بين الزراعة والاتجار بالطيب الذي ينتجونه أو يجلبونه بالسفن المغطاة بالجلود من إثيوبيا عبر البحر فأصبحوا بفضل تجارتهم من أغنى القبائل. وأنهم يكتنون كميات كبيرة من الأشياء المصنوعة من الذهب والفضة والآرائك

والآنية ثلاثية القوائم والأحواض وأواني الشرب، هذا بالإضافة إلى منازلهم الرائعة ذات الأبواب والجدران والسقوف المطعمة بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة⁽⁴⁴⁾.

أما عن موقع سبأ فيرى بعض الباحثين أن السبئيين كانوا يعيشون في منطقة تقع إلى الشمال من دولة معين وفي القرن الثامن قبل الميلاد هاجروا إلى اليمن حيث استقروا في (صرواح ومأرب)، وهناك رأي آخر أن السبئيين هاجروا إلى الجنوب⁽⁴⁵⁾. كما يرى البعض أنهم كانوا شعباً بدوياً يتنقل بين شمالي الجزيرة العربية وبين جنوبها قبل أن يستقروا في بلاد اليمن حوالي سنة (800 ق.م) نتيجة لضغط الآشوريين عليهم من الشمال فاستغلوا ضعف المعينيين وتوسعوا على حسابهم ولما قوي أمرهم قضوا على المملكة المعينية وأقاموا دولة لهم على أنقاضها وورثوا لغتها وديانها وتقاليدها شعبيها وخلفوها في الاشتغال بنقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق حتى أضحوا في القرن الأول قبل الميلاد أعظم وسطاء التجارة العالمية⁽⁴⁶⁾.

ومرت مملكة سبأ استناداً على النقوش السبئية المكتشفة بمرحلتين تاريخيتين متتاليتين تتميز كل واحدة منهما بألقاب ملوكها.

عرفت المرحلة الأولى باسم بالمكربين وهي تمتد في الفترة ما بين عامي (800—650 ق.م) حيث تلقب فيها حكامها بلقب مكرب سبأ واتخذوا مدينة صرواح الواقعة غربي مارب عاصمة لهم. وورث السبئيون المعينيين وأضحوا سادة البلاد العربية الجنوبية، وكان حاكم البلاد (مكرب) يقوم بدور الملك والكاهن معاً ويدل ذلك على مدى القداسة التي اعتمد عليها الحكام السبئيون في حكم دولتهم ويتراوح قيام المملكة بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، وماورد في القرآن الكريم من ذكر ملكة سبأ وعلاقتها بالنبي سليمان عليه السلام أي في القرن العاشر قبل الميلاد فالراجح أنه يعني السبئيين الذين يسكنون آنذاك في شمالي الجزيرة العربية⁽⁴⁷⁾.

تمكن العلماء من جمع أسماء زهاء سبعة عشر مكرباً وردت في النقوش العربية الجنوبية أولهم (سمه علي) (800—780 ق.م) مؤسس المملكة وقد قاد قبيلته من الفيافي والقفار إلى الأرض السعيدة التي تفيض لبناً وعسلاً، واتخذ مدينة صرواح عاصمة لمملكته. وكان هذا المكرب يقدم البخور باسمه ونياية عن قبيلته للإله ألمقة إله القمر. وخلفه ابنه يدع إل ذرح (780—760 ق.م). وقد بنى معبداً للإله ألمقة في مدينة صرواح، كما شيد معبداً آخر لهذا الإله في مأرب وقدم القرابين إلى الإله عثتر⁽⁴⁸⁾. وينسب إلى (يئع أمروتربن يدع إل ذرح) بناء معبد الإله (ألمقة) في بلدة داير الواقعة بين مأرب ومعين في الجوف ويدل هذا المكان الذي أقيم فيه هذا المعبد أن السبئيين اصطدموا بالمعنيين وانتصروا على قبائل نجران وقتلوا عدداً من أفرادها. وكان كرب إل وتر آخر الحكام المكربين (620—610 ق.م) وقد قام بحروب توسعية قضى فيها على استقلال ممالك وإمارات في العربية الجنوبية أو أخضعها لحكم سبأ⁽⁴⁹⁾. وبعد أن سيطر

كرب إل وتر على بلاد اليمن غير لقبه ولقب نفسه بلقب ملك سبأ (610ق.م — 600ق.م)، واقتدى به من جاء بعده من الحكام وحملوا إلى جانب أسمائهم ألقاباً تدل على الفخامة مثل : وتر وتعني التعظيم، وبين وتعني الممتاز، وذرح وتعني الشريف، ويهنعم وتعني المحسن، وينف وتعني السامي⁽⁵⁰⁾.
 أما المرحلة الثانية التي تلت عهد المكربين في التاريخ السبئي عرفت بمرحلة الملوك التي تلقب فيها الحكام بلقب ملك سبأ ومعظم الباحثين في التاريخ اليمني القديم يرجحون أن هذه المرحلة قد بدأت منذ فترة المكرب السبئي (كرب إل وتر) الذي تلقب بلقب ملك وقد توارث حكم سبأ عدد من الملوك حفظت لنا النقوش المسندية عدداً كبيراً من أسمائهم يعتقد أنهم قد حكموا بعد المكرب (كرب إل وتر). ولكن رغم العدد الوافر من النقوش إلا أنها لم تقدم لنا تفاصيل كافية تساعدنا على تكوين صورة عامة عن فترات أولئك الحكام وما حدث خلالها من تطورات في مختلف مجالات الحياة⁽⁵¹⁾.
 أما فيما يخص ديانة دولة سبأ يذكر الإله (تالب) الإله الرئيس لقبيلة همدان وكان هيكله الرئيس في ريام على جبل إتوة شمال صنعاء إلى غرب وادي الخارد، والإله (ألمقة) الإله الرئيس للسبئيين⁽⁵²⁾.



معبد ألمقة في صراوح من الداخل

أما الآلهة، الشمس يحدثنا القرآن الكريم أن ملكة سبأ على أيام سليمان عليه السلام كانت وقومها يسجدون للشمس من دون الله⁽⁵³⁾. إضافة لمعبودهم الإله (ذسموى) إله السماء وعبادة هذا الإله تدل على التقريب والتوحيد والابتعاد عن الآلهة القديمة⁽⁵⁴⁾.

أضحى السبئيون في القرن الأول قبل الميلاد أعظم وسطاء للتجارة في العالم القديم. ونمت دولة سبأ وازدهرت نتيجة احتراف الزراعة والعمل التجاري ووصل نفوذها إلى نجد والحجاز في شمالي الجزيرة العربية، كما فرض السبئيون سيطرتهم على طريق التجارة الذي يربط جنوبي الجزيرة العربية بالشام ومصر، وأنشأوا خطوطاً برية جديدة تحاذي ساحل الجزيرة العربية الغربي وتؤدي إلى مكة والبتراء ثم تتشعب على فروع تصل إلى الشام ومصر عن طريق غزة والعراق وعينوا مراكز لنزول القوافل والتجار لتحصيل المكوس ومراقبة الرجال المرافقين للقوافل ووضعت فيها حاميات عسكرية للمحافظة عليها وكانت ديدان المركز الرئيس الذي يمارس منه نفوذها على شمالي الجزيرة العربية⁽⁵⁵⁾. وعلى الرغم من قوة مملكة سبأ واتساع نفوذها إلا أن قوافلها كانت تتعرض لتعديلات البدو أثناء سيرها على الطرق التجارية كما أنها لم تتحمل دائماً مشقات السفر البري مما دفعها إلى التحول إلى البحر الأكثر أماناً والأقصر مسافة فكانت مستوردات الهند وإفريقيا تُخزن في مرافئ السبئيين مثل موزا وعدن ثم تنقل بحراً إلى مرفأ أيلة ومنه إلى قُفط على النيل⁽⁵⁶⁾. ومع اهتمام السبئيين بالتجارة اهتموا بالزراعة. ولما كانت الأمطار في ذلك الإقليم موسمية فقد أنشأوا سداً ضخماً وهو المعروف باسم سد مأرب وحفروا الترع والقنوات واستخدموا المياه استخداماً حسناً للزراعة إذ كانوا ينفلون هذا السد في موسم الخريف فيحجز وراءه مياه السيول التي تحفظ حتى موسم الجفاف فتروى بها الأرض⁽⁵⁷⁾.



سد مأرب

ويعد سد مأرب من أهم السدود التي اكتسبت شهرة في تاريخ اليمن والجزيرة العربية. حيث بدأ السبئيون في بنائه في القرن الثامن قبل الميلاد، واتخذ شكله النهائي من خلال الترميم الذي أجراه الملك شمر يهرعش الثالث في سنة (300م) وهو يشكل العمود الفقري لتنظيم الري الاصطناعي وتطور الزراعة الكثيفة في الجزيرة العربية الجنوبية. وقد بنى في وادي أدنة بين سلسلتين عاليتين من الجبال على بعد أكثر من ثلاثة أميال من مأرب وتتجمع فيه روافد عدة من زمرار وجهران وخولان وبلاد مراد وردمان وغيرها⁽⁵⁸⁾. وأفاد سد مأرب في ري الأراضي المرتفعة حتى وجدت فيها جنتان عن يمين وشمال، كما جاء في القرآن الكريم. وأوجد عرب جنوب الجزيرة العربية تشريعاً خاصاً لضمان ترميم السدود والاستفادة منها والسهر على حسن توزيع مياهها وحراسة سواقيها مما أدى إلى زراعة مساحات واسعة بالحبوب والثمار والبخور والعمود والنخيل.⁽⁵⁹⁾

وأصبحت دولة سبأ ذات ثراء عريض جداً حيث مكث أهلها على ذلك قروناً وسنين في قوة ومنعة فدانته لهم البلاد وأطاعهم العباد ثم أمروا بأن يستمتعوا برزق الله شاكرين ولكنهم بعد ذلك كفروا بنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بل عدلوا عن عبادته وسجدوا للشمس من دونه سبحانه وتعالى (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنَبًا يَقِينٌ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ⁽⁶⁰⁾). فسلبهم الله سبحانه وتعالى هذا الرخاء الجميل الذي كانوا يعيشون فيه وأرسل عليهم السيل الجارف الذي يحمل العرم في طريقه لشدة تدفقه فانهار سد مأرب وتحولت كثير من الأراضي الزراعية إلى أرض جرداء قاحلة تتناثر فيها الأشجار الخشنة (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ⁽⁶¹⁾). كانت نهاية سد مأرب نهاية للمملكة السبئية كلها إذ تشتت معظم سكانها وهاجروا إلى شمال الجزيرة العربية باحثين عن موطن آخر لكسب عيشهم⁽⁶²⁾. وفي سنة 115 ق.م سنحت الفرصة لفرع من سبأ وهم الحميريون لتأسيس مملكة جديدة هي دولة حمير في إقليم ظفار جنوب مدينة مأرب⁽⁶³⁾.

خامساً: مملكة أوسان (230—115 ق.م):

شهد الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية عدداً من الممالك الصغيرة الثرية مثل مملكة أوسان أو أوسن وعاش شعب هذه المملكة في الجزء الجنوبي من مملكة قتبان، وقد أسس له مملكة اقتطعت بعض

الأراضي القتبانية والحضرية. وبقي اسمها حياً في القلب عند بعض منسوبيها إلى ما بعد ظهور الإسلام⁽⁶⁴⁾. واشتهرت مملكة أوسان بتجارة البخور وإبان ازدهارها قد نافست سبأ منافسة شديدة واستطاعت أن تحتكر التجارة البحرية وخاصة في السلع الإفريقية، وذلك من خلال سيطرتها على الأجزاء الساحلية في الشاطئين اليمني والإفريقي. ولم يكن أمام سبأ وقتها إلا أن تهتم بطرق القوافل البرية والزراعة. ثم جاءت حروب الملك كرب إل لتحقيق لسبأ السيطرة الكاملة على الطرق التجارية إذ اجتاح ذلك الملك معظم المدن الواقعة على البحر وضمها إلى دولته⁽⁶⁵⁾. وقد لفتت الكواكب انتباه الأوسانيين فعبدوا القمر باسم ود، والشمس، والزهرة باسم عثر. ووجدت إلى جانبهم بعض المعبودات الأخرى مثل إل، بلو، بشام، ووب، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ربما وصل أحد ملوكهم ويدعى (يصدق إل فرعم شرح عت) إلى درجة التأليه، وأقاموا إلى تلك المعبودات معابد وتقدموا لأجلها بالعطايا والقربان في محاولة منهم لكسب رضاها وإبعاد أذاها عنهم⁽⁶⁶⁾.

وإلى جانب التجارة مارس الأوسانيون فن النحت فقد عثر على تماثيل رخامية لبعض ملوكهم كتب على قاعدة كل واحد منها اسم الملك الذي يمثله، وقد تأثر النحاتون العرب بالفن الإغريقي المستورد عبر غزة واستدل على ذلك من طراز التمثال الذي نُحت ليمثل الملك وشكل اللباس الملكي وهو على الطراز اليوناني في التماثيل اليونانية المنحوتة⁽⁶⁷⁾.



صورة الملك الأوساني يصدق إل فرعم شرح عت

سادساً : مملكة حمير: (115ق.م — 525 م) :



ورث الحميريون بلاد سبأ ومعين بعد تدهور سبأ فقامت على أنقاضها في سنة 115ق.م، واتخذوا مدينة ظفار عاصمة لبلادهم، والحميريون من أصل سامي ورثوا لغة من سبقهم في بلاد اليمن فهم يعتبرون جماعة من السبئيين كانوا كأقيال (حكام أو أمراء) في مناطق مختلفة من بلاد اليمن وزاد اتحادهم شيئاً فشيئاً حتى عظم شأنهم واستولوا على ملك سبأ وأطلق على ملكهم (ملك سبأ وذي ريدان) ويبدو أن ريدان كانت مقر ملكهم الأول قبل توسعهم ثم ما لبثوا أن ضمو حضرموت فأصبح ملكهم يدعى ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت⁽⁶⁸⁾. وقد عاصرت مملكة حمير ثلاث ممالك كبيرة هي الفرس والرومان والحبشة وكانت كل هذه الدول تحاول أن تسيطر على طرق التجارة بين الهند والبحر الأبيض المتوسط براً وبحراً. واستطاع الحميريون أن يسيطروا على الطرق الجنوبية حتى نهاية القرن الأول للميلاد، وساعدهم على ذلك نشاطهم التجاري، وظهور الامبراطورية الرومانية التي سلخت البحر الأبيض المتوسط من مدينتي مابين النهرين وفارس⁽⁶⁹⁾. وتطلعت روما منذ القرن الأول الميلادي صوب سبأ ومدنها التجارية فتحالفت مع الأحباش لتحقيق مصالحها في اليمن بعد أن اعترض اليمنيون السفن الرومانية واستولت على بعض الأماكن في اليمن في عهد الامبراطور كلاوديوس (41 — 54 م)⁽⁷⁰⁾. وفي القرن الرابع الميلادي بدأ في اليمن هجوم حبشي في عهد النجاشي (العلي إسكندي) من

أجل الدفاع عن مصالح الحبشة الاقتصادية في وجه الوثبة الحميرية للسيطرة على طرق التجارة الشرقية ومهاجمة الحميريين للتجارة الحبشية. وكرد فعل على سيطرة الحميريين على ساحل أزيانيا في القرن الأول الميلادي فأراد الأحباش تأديب هؤلاء ومنعهم من تكرار ذلك واكتملت السيطرة الحبشية على البلاد في سنة (345م) في عهد الملك الحبشي (العلي عميدة) (340—348م). وقد حدث ذلك في عهد الملك الحميري (يريم يرحب بن شمر يهرعش) الذي فر مع أولاده إلى يثرب. ويبدو أن الأحباش قد تلقوا مساندة من الامبراطور البيزنطي قسطنطيوس (337—361م) الذي كان يهدف إلى نشر الدين النصراني في بلاد العرب والمعروف أن الحبشة كانت آنذاك على صلات طيبة مع البيزنطيين من الناحيتين السياسية والتجارية واستغل الامبراطور البيزنطي ذلك لنشر النصرانية بين الأحباش أيضاً فاعتنق ملك الأحباش عيزانا المسيحية وأعلنها ديناً رسمياً للدولة⁽⁷¹⁾.

استمر الاحتلال الحبشي لليمن أقل من أربعين سنة، ولكن أخذت قبضة الأحباش تتراجع بسبب ثورة نشبت في جنوبي الحبشة فانتهز الملك الحميري (ملكي كرب يهأمن) الثورة الحبشية فثار على الاحتلال الحبشي في عهد آخر وإل حبشي على اليمن يدعى (سازانا) وتمكن من طرد الأحباش واسترداد البلاد في سنة 378م⁽⁷²⁾.

وفي القرن السادس الميلادي استعادت الامبراطورية الرومانية قوتها تحت الأباطرة جستين ومن بعده جستينيان (528—556م) وأخذ التجار المصريون والرومانيون المسيحيون يبحرون من مصر في البحر الأحمر حتى يصلوا إلى الهند. وبرهنت المراكب الرومانية على أنها أفضل وسائل السفر والنقل في العالم حتى شعر الحميريون بخطورة المنافسة الرومانية، واستطاع الرومان الوصول إلى سواحل وشرق إفريقيا، وكان العرب هم الذين احتكروا تجارة البهارات والحريير والعطور الشرقية واللآلئ غير أنهم وجدوا منافساً خطيراً في الرومانيين⁽⁷³⁾.

وبينما كان الرومان يعتنقون المسيحية، وكذلك الأحباش الذين كونوا دولة أكسوم، كان بعض الحميريون يعتنق اليهودية والآخر يعتنق الوثنية ثم ظهرت في نجران بوادر التبشير المسيحي، وأخذ عدد المسيحيين فيها يزداد وخشي ذو نواس ملك حمير نفوذ المسيحيين الأحباش على النجرانيين وتخوف من تحالف نجران المسيحية باليمن وأكسوم على بلاده ودينه للاستيلاء على اليمن والسيطرة على التجارة فأراد استباق هذا الحدث بضربة وقائية فخير أهل نجران بين ترك المسيحية والدخول في الدين اليهودي وبين حرقهم في النار

وقد فضل معظمهم الموت في سبيل إيمانهم فحفر أخايد في الأرض وأحرقهم فيها وأحرق كتابهم الإنجيل وكان ذلك في سنة 520 م⁽⁷⁴⁾. وقد اشتهرت في التاريخ باسم معركة الأخدود.

غير أن هذه الحادثة كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير إذ اتخذها الأكسوميون ذريعة للهجوم على اليمن إذ سبق أن هاجم الحميريون المراكب المصرية الرومانية التي ذهبت على الهند وسيلان، واعتدوا عليها، ورأى الأكسوميون أن ينظفوا البحار من القرصنة الحميرية للتجارة الحرة بين العالم الشرقي والعالم المسيحي. وكان الأحباش قد ارتبطوا بمحالفه مع امبراطور القسطنطينية، وطلبوا منه أن يرسل إليهم مبشراً ليعلمهم المسيحية، فأرسل إليهم الامبراطور القس يوحنا (جون) الذي أنشأ كنيسة القديس يوحنا، ثم سافر بسفراء من الحبشة إلى القسطنطينية، وعاد حيث استوطن الحبشة. وكان لهذا الحلف أثره في الهجوم على دولة الحميريين⁽⁷⁵⁾.

قامت بيزنطة بتجهيز حملة عسكرية مع الحبشة لإرسالها إلى اليمن وهذا كان يتطلب تبريد جبهات الصراع مع الفرس وخاصة في بادية الشام وعزل ذي نواس عن حلفائه الفرس وملوك الحيرة وقد حقق مؤتمر الرملة الذي انعقد في سنة 524م الرغبة البيزنطية. لذا فقد ذي نواس أي مساعدات من حلفائه الفرس وملوك الحيرة⁽⁷⁶⁾.

عين نجاشي الحبشة على قيادة الحملة قائداً يدعى أرياط بن أصحمة يساعده أبراهة وأوصاه بأن ينتقم من ذي نواس وجنده انتقاماً شديداً. وقد أبحرت الحملة من بلاد ناصع وزيلع في ساحل الحبشة، ونزل أفرادها على ساحل زبيد من أرض اليمن فقضت هذه الحملة على دولة حمير في سنة 525م. فلما رأى آخر ملوك حمير ذو نواس ما نزل به وبقومه ألقى بنفسه في البحر فمات⁽⁷⁷⁾. وبانتحار ذي نواس وباحتلال الأحباش لبلاد اليمن تنتهي مملكة حمير، ويبدأ عهد جديد في تلك البلاد هو الاحتلال الحبشي الذي امتد حتى سنة 575م.

الخاتمة :

قامت في اليمن بجنوب غرب شبه الجزيرة العربية قديماً ممالك ذات أنظمة اقتصادية متصلة بالتجارة العالمية وأثرت فيها تأثيراً بعيداً. فبلاد اليمن كانت تصدر البخور والعطور العربية كما كانت مركزاً مهماً للاتصال التجاري بين المحيط الهندي والبلاد الواقعة شرقي البحر الأبيض المتوسط. فأصبحت صلة الوصل بين الحضارات القديمة في مصر والشام والحبشة واليونان. وقد احتلت التجارة مركزاً مهماً في الحياة الاقتصادية لبلاد اليمن،

وكانت موانئ الشواطئ الجنوبية للجزيرة العربية مركزاً للتبادل التجاري تأتيها السفن من الهند وجنوبي آسيا وشرقي إفريقيا حاملة سلع تلك البلاد خصوصاً البخور فتتقلها القوافل من شبه جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها مارة بالمراكز التجارية المهمة مثل صنعاء ومأرب وغيرها إلى سوريا ومصر وجزر البحر المتوسط ثم تعود القوافل بسلع تلك الجهات لتبيعهها في الأسواق القائمة على الطريق. وامتازت بلاد اليمن بالاهتمام بالزراعة وتخزين مياه الأمطار، ومن أشهر آثارها السد الحجري الضخم الذي أقامه أهالي اليمن في (واد الجبال) بالقرب من مأرب لخزن مياه السيول وعرف ذلك باسم سد مأرب. وقد أقاموه للاستفادة من المياه المخزنة في ري المناطق المجاورة بالتحكم في السيول التي كانت تتدفق فتخزن ما حولها. وقد أدت إقامة السدود وشق الترع والسيطرة على المياه إلى زراعة مساحات واسعة من الأراضي بالفواكه والحبوب والنخيل. وعبد اليمنيون بعض الكواكب كالقمر والشمس والزهرة، حتى تسربت اليهودية والمسيحية في القرنين الثالث والرابع للميلاد. وعكست بقايا التماثيل والأعمدة والقصور والمعابد والسدود التي عثر عليها من آثار مدن اليمن القديمة قدرة اليمنيين العالية في فن البناء والعمارة. وجاء في القصص القديمة أخبار كثيرة عن مدى ما بلغته مدن سبأ وحميز من الأبهة والعظمة ما كان لقصورها الرائعة من أعمدة رخامية وزخارف جميلة وأثاث ضخم وتدل هذه المدن وخاصة مدينة مأرب على ما كانت عليه من روعة وفخامة. وهكذا شهدت حضارات اليمن القديمة الاهتمام بالزراعة والاعتماد عليها وفي ريادتها في حركة التبادل التجاري مع بعض دول العالم القديم، وفي تقدم الفنون والعمارة حيث تشهد بذلك الآثار الرائعة الباقية في كل مكان من بلاد اليمن.

النتائج :

1. كان الشعب اليمني حلقة الاتصال بين الشرق والغرب وصلة الوصل بين إفريقيا والهند من ناحية وبين الشرق العربي من ناحية أخرى.
2. معرفة تاريخ ممالك اليمن القديمة يعيننا على فهم حاضر الإنسان اليمني وكيف وصل إلى ما هو عليه.

التوصيات:

1. تشجيع البحوث والدراسات في مجال التقنيات الأثرية لكافة الحضارات القديمة لليمن والوقوف على إيجابياتها وسلبياتها.
2. أن تدعم المراكز البحثية الباحثين في مجال البحوث الحضارية للعمل الميداني المشترك في مناطق الحضارات القديمة في الوطن العربي القديم (وادي النيل، بلاد الرافدين، سوريا، جنوب شبه الجزيرة العربية). وذلك للوصول إلى بعض الحقائق الغائبة.

المصادر والمراجع:

- (1) ابراهيم أحمد العدوي، التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1396هـ — 1976م، ص 9.
- (2) لمرجع نفسه، ص 14 — 15.
- (3) محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، تيسان 1985م، ص 11.
- (4) أحمد أمين سليم، تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتبة كريدية أخوان، بيروت، د.ت، ص 6.
- (5) المرجع نفسه والصفحة.
- (6) ابراهيم أحمد العدوي، المرجع السابق، ص 9.
- (7) شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت، معجم البلدان، ج5، دار صادر، دار بيروت، 1979م، ص 160.
- (8) سعد زغلول عبدالحميد، في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص 182.
- (9) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، دار الهلال، القاهرة، د.ت، ص 132.
- (10) محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1430هـ — 2009م، ص 287.
- (11) المرجع نفسه والصفحة.
- (12) ضرار صالح ضرار، العرب من معين إلى الأمويين، ط4، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1978م، ص 17.
- (13) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 72.
- (14) المرجع نفسه، ص 72 — 73.
- (15) ابراهيم أحمد العدوي، المرجع السابق، ص 10.
- (16) محمد عبدالقادر بافقيه، المرجع السابق، ص 31.
- (17) المرجع نفسه، ص 31 — 32.
- (18) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 74.
- (19) المرجع نفسه والصفحة.
- (20) المرجع نفسه، ص 75.
- (21) محمد عبدالقادر بافقيه، المرجع السابق، ص 47.
- (22) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 75 — 76.
- (23) المرجع نفسه، ص 76.
- (24) المرجع نفسه، ص 76 — 77.

- (25) المرجع نفسه، ص 77.
- (26) المرجع نفسه، ص 78.
- (27) المرجع نفسه، ص 78 — 79.
- (28) فؤاد حسنين علي، استكمال لكتاب التاريخ العربي القديم، ليدتليف نلسن، مكتبة النهضة المصرية، 1993م، ص 287.
- (29) المرجع نفسه، ص 287.
- (30) المرجع نفسه، ص 285 — 287.
- (31) المرجع نفسه، ص 287.
- (32) محمد عبدالقادر بافقيه، المرجع السابق، ص 36 — 37.
- (33) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 293.
- (34) محمد عبدالقادر بافقيه، المرجع السابق، ص 37.
- (35) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 82.
- (36) المرجع نفسه والصفحة.
- (37) المرجع نفسه والصفحة.
- (38) المرجع نفسه، ص 91.
- (39) سورة سبأ، الآية 15.
- (40) المصدر نفسه، الآية 18.
- (41) سورة النمل، الآية 23.
- (42) المصدر نفسه، الآية 32.
- (43) التوراة (العهد القديم)، سفر المزامير، الاصحاح (المزمور)، الثاني والسبعون لسليمان، الآية 10.
- (44) محمد عبدالقادر بافقيه، المرجع السابق، ص 52 — 53.
- (45) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 91.
- (46) السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص 134.
- (47) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 297.
- (48) أحمد فخري، الاكتشافات الأثرية في اليمن، مصر، 1961م، ص 255 — 266.
- (49) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 297.
- (50) جرجي زيدان، المرجع السابق، ص 139.
- (51) محمد عبدالقادر بافقيه، المرجع السابق، ص 71.
- (52) خليل يحيى نامي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخهم، لغاتهم، ألتههم، مكتبة الدراسات الأدبية (98)، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 138 — 139.

- (53) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 206.
- (54) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 274.
- (55) فيليب حتى وادوارد جرجي وجبرائيل جبور، تاريخ العرب، ط5، دار غندور، بيروت، 1974م، ص 81 — 82.
- (56) جرجي زيدان، المرجع السابق، ص 80.
- (57) ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص 20.
- (58) الحسن بن أحمد الهمداني، الإكليل، ج1، ط3، تحقيق محمد بن علي الأكوع، شركة التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1986م، ص 125.
- (59) ابراهيم أحمد العدوي، المرجع السابق، ص 14.
- (60) سورة النمل، الآية 23 — 24.
- (61) سورة سبأ، الآية 16.
- (62) ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص 20.
- (63) ابراهيم أحمد العدوي، المرجع السابق، ص 10.
- (64) عبدالعزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة، 2006م، ص 93.
- (65) محمد عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص 22.
- (66) محمود عبدالباسط عطية، الحياة الدينية في مملكة أوسان في ضوء النقوش العربية الجنوبية القديمة، في مجلة جامعة الملك سعود، السياحة والآثار، مجلد (26)، العدد (2)، السعودية، 2014م، ص 145.
- (67) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 294.
- (68) ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص 20 — 21.
- (69) المرجع نفسه، ص 21.
- (70) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 307.
- (71) المرجع نفسه، ص 307 — 308.
- (72) جرجي زيدان، المرجع السابق، ص 147.
- (73) ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص 21 — 22.
- (74) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج1، المكتبة المرتضوية، النجف، 1358هـ، ص 245.
- (75) ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص 22.
- (76) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 317.
- (77) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر، 1979م، ص 2.